

الوافي في الوفيات

وله فيه أمداح كثيرة من ذلك من قصيدةٍ مدحه بها لما عمر الإيوان الذي بالقلعة وقد زخرفه وعلّـى قبـّـته : من البسيط .

وقبـّـة هي للأفلاك عاشرةٌ ... ودونها في علوِّ الشان كيوان .

كأنها العالم العلويُّ تحرسها ... الأملاك لم يدن منها ثمَّ شيطان .

علت فأفلاكها الأفلاك في شرفٍ ... وتبرها الشُّهب والأركان أركان .

وأنت يا أشرف الأملاك شمس علا ... سما بها وعلى ظني سليمان .

وتحت دهليزك الزاهي بزركشه ... من كلما تتمنّى النفس ألوان .

والجيش بالقبق المنصور قد ولعوا ... بكلِّ طائشةٍ والقوس مرنان .

كأنما العرض يوم العرض إذ عرضوا ... عليه صفّاً وللإعطاء ميزان .

وكان مغرّياً بالهدم لأنه هدم أماكن وفيه يقول علاء الدين الوداعيُّ لما أمر بهدم الأماكن التي تجاور الميدان بدمشق ووزع عمارته على الأمراء . ومن خطه نقلت : من السريع .

إن أمر السلطان في جلّـقٍ ... بهدم ما ضايق ميدانه .

فإنه قد غار لمّا رأى ... غير بيوت الخـيـر جيرانه .

وقال أيضاً : من الوافر .

أرى الأمراء قد جدّوا وجادوا ... وشدّوا في بنائهم وشادوا .

وهم متسابقون ولا عجبٌ ... ففي الميدان تستبق الجياد .

وقال أيضاً : من الوافر .

جزيتم أيها الأمراء خيراً ... على إتقانكم هذي البنيّة .

فلا تخشوا على الميدان شيئاً ... سوى سيل العطايا الأشرفيه .

فاتفق أن السلطان حضر بعد ذلك وأنفق في العساكر في الميدان فقال بيتين أذكرهما في ترجمة الأمير علم الدين سنجر الشُّجاعي وقال أيضاً في عمارة الميدان : من الكامل .

لئن ادّعى ميداننا شرفاً إلى ... شرفيه لم ينسب إلى الإسراف .

أو ما ترى الأمراء في تعميره ... أضحوا فعول مجارفٍ وقفاف .

ولما فتح الملك الأشرف عكا امتدحه القاضي شهاب الدين محمود بقصيدته البائية المشهورة وهي : من البسيط .

الحمد لله زالت دولة المصّـلب ... وعزّـى بالتـُرك دين المصطفى العربي .

هذا الذي كانت الآمال لو طلبت ... رؤياه في النوم لاستحيت من الطلب .

ما بعد عكا وقد هدّت قواعدها ... في البحر للشّرك عند البّر من أرب .
عقيلةٌ ذهبت أيدي الخطوب بها ... دهرًا وشدّت عليها كفٌّ مغتصب .
لم يبق من بعدها للكفر مذخرت ... في البّر والبحر ما ينجي سوى الهرب .
كانت تخيّلنا آمالنا فنرى ... أنّ التفكّر فيها غاية العجب .
أمّ الحروب فكم قد أنشأت فتناً ... شاب الوليد بها هولاً ولم تشب .
سوران برّاً وبحراً حول ساحتها ... دارا وأدناها أنأى من القطب .
خرقاء أمتع سوريها وأحصنها ... غلب الرجال وأقواها على الذّوب .
مصفّحٌ بصفاحٍ حولها أكمّ ... من الرّماح وأبراجٍ من اليلب .
مثل الغمام تهدي من صواعقها ... بالذّيل أضعاف ما تهدي من السّحب .
كأنما كلّ برجٍ حوله فلكٌ ... من المجانيق يرمي الأرض بالشّهب .
ففاجأتها جنودا يقدمها ... غضبان لا للملك والذّشب .
ليث أبى أن يردّ الوجه عن أممٍ ... يدعون ربّ العلى سبحانه بأب .
كم رامها ورامها قبله ملكٌ ... جمّ الجيوش فلم يظفر ولم تجب .
لم يلهه ملكه بل في أوائله ... نال الذي لم ينله الناس في الحقب .
لم ترض همّته إلا الذي قعدت ... للعجز عنه ملوك العجم والعرب .
فأصبحت وهي في بحرین ماثلةً ... ما بين مضطرمّ ناراً ومضطرب